

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره اني اشتريت منه بقراً ، وانه أتاني بطلب أجره : فقلت : اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لي : انما لي عندك فرق من أرز ، فقلت له : اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم انه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي ، فابطات عليهما ليلة فجئت وقد رقدا ، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن ادعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . فقال الآخر : اللهم أن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس الي واني راودتها عن نفسها فابت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتها اليها ، فامكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، نقمت وتركت المائة دينار ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(رواه البخاري وغيره)

بين يدي البحث :

أ) منذ زمن طال ، والمهتمون بالدراسات القرآنية ، والآثار النبوية ، يرددون : أن التفاسير والشروح التي عالجت ذلك التراث الشريف — وأهمها

تجليته للأجيال المتعاقبة من مثقفي هذا الوجود طالبى المعرفــة العالية ، الراغبين فى السمو الفكرى ــ كثيرا ما تنطوى على الاسرائيليات المقبولة حينا والممجوجة احيانا ، والتى ترد فى أمهات كتب ذلك التراث الصادرة عن من لا يرمى لهم عن قوس ، ولا يدرك لهم شأو ، ولا يبلغ مدى معارفهم ، فهم من فاض غربهم بعلوم اللسان ، وطال باعهم فى ميدان المعقولات ، فقد كانوا قممها ولا يزالون ــ فى آثارهم الخــالدة ــ المجلين فى حلبتها ، فهم ولا شك يعرفون الجيد ويميزون الردىء ، على دربهم يسار ، وبهم يقتدى ، وهذا ما حمل على التساؤل : كيف وقع اولئــك الفحول فى احبولة الاسرائيليــات ، مع سمو معارفهم ودقة ادراكهم لمقاصد الكتاب الكريم والسنة الشريفة .. ؟! حملنى ذلك على أن أقدم لدراسة هذا الحديث الشريف بفذلكة يسيرة ، قد تزيل بعض الحيرة ، وتجيب على شيء من جوانب هذا التساؤل ، خاصة وإن الكلم الطيب موضــــوع البحث متصل بقصة حدثت وقائعها فى بنى اسرائيل ، وان كانت رواية البخارى لم تشر الى ذلك ، فقد ذكر صراحة فى رواية الطبرانى : عن عقبة بن عامر .. أن ثلاثة نفر من بنى اسرائيل .. الخ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأخذ عن بنى اسرائيل والنظر فى كتبهم أولا .. ثم حصل التوسع فى ذلك ، فكأن النهى قد وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ورسوخ القواعد الدينية خشــــية الفتنة ، والانحراف عن الخط الاسلامى البين ، والاغترار بما دونه الاحبار فى كتبهم خارجا عن نطاق التوراة ، وما سجلوه بعيدا عن رباط الســماء والوحى الالهى ، ثم لمــا زال المحذور واطمأنت الأصول الاسلامية فى نفوس المؤمنين ، وركنوا اليها ، ولم يعد لغيرها سبيل لمنافستها ، أو الاختلاط بها ، أو التقليل من شأنها .. عندئذ وقع الإذن بالاطلاع على أخبار أهل الكتاب ، وأبيحت قراءة ما سطروا ومعرفة ما دونوا ، وخاصة الأخبار التى احتوت ما يفيد المسلمين من الاعتبــار بتلك الأحوال ، والاقتداء بحسنها والتجافى عن سيئها ، فقال سيدنا رســـول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره من الثقافة عن عبد الله بن عمــر رضى الله عنهما : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وقال شراح الحديث الشريف : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا حرج » ولا تضــــيقوا صدوركم بما تسمعون منهم من الأعاجيب فان ذلك وقع لهم كثيرا ، وقال الإمام مالك رضى الله عنه : المراد « جواز التحديث عنهم بما كان من امر حسن أما ما علم كذبه فلا » وقيل : حدثوا عنهم بمثل ما روى القرآن والحديث الصحيح .

وقال الشافعى رضى الله عنه : من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بنى اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصـــدقوهم ولا تكذبوهم » ويبدو ــ والله أعلم ــ أن السابقين لما سمعوا ما أثبته صحته البخــارى ، وما رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ترخصوا فى رواية الاسرائيليات كيفما كانت ما دامت لا تصادم أصــلا من أصول الدين ، ذهابا منهم الى أن المقصود بها الاعتبــار بالوقائع التى أحدثهــا الله تعالــى لمن سلف لينهجوا منهج من أطاع منهم فأثنى الله عليهم وفازوا برضوانه ، ويتنكبوا

مسالك من غصوا وتمادوا فى البعد عن أوامر الله تعالى فحقت عليهم كلمة العذاب ، فلعل هذا هو ملحظ المفسرين والشراح الذين أوردوا الاسرائيليات فى تفاسيرهم وهى غالبا ما ترد للاستشهاد لا للتأسيس ، ولكن مما يثير الأسف أن البعض بالغ فى ايراد الاسرائيليات فكان حاطب ليل خلط عملا صالحا وآخر سيئا وجاء بمرويات لا يستسيغها العقل ولا يقبلها دارس مهما تدنت معرفته ومهما هبطت مداركه ما دام يعرف ولو شيئا يسيرا عن الاسلام وواقعيته التى لا تقبل الجدل بل وتنفى الخرافة وتعيب حاكيها ، ومما يخفف وقع تلك الخرافات أنها لا تتصل بشيء من العقيدة ، وانما هى قصص يمجه الذوق ويرده أدنى نظر ، فمن غير الوارد عقلا ، وليس مندرجا تحت ميزان الفكر أن الأرض تستند الى قرن ثور ، والثور يقف على ظهر حوت ، والحوت يسبح فى بحر ، وان الهزات الارضية ، تنشأ عن تحركات الثور حين يعيى بحمله فينقل الارض من أحد قرونه الى الآخر .. !!

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : « اذا روينا الأحكام شددنا واذا روينا فى الفضائل تساهلنا ، وما وراء ذلك ننفيه عن وادينا ولا ندعه يجد مجالا فى دراستنا » . وقال بعض تلامذته : وبالأحرى فى القصص الغير بين الكذب أو الشديد المبالغة .. وعقب على كل ذلك الحافظ ابن كثير فى مقدمة تفسيره المسمى : (تفسير القرآن العظيم) بما نورده هنا اكمالا للفائدة ، وتعميما للمعرفة الحقة ، قال الحافظ ابن كثير : « الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد للاعتقاد ، وهى على ثلاثة أقسام : **أحدها** : ما علمنا صحته مما فى أيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح . **والثانى** : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . **والثالث** : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى . ومن أمثلة حديثهم أى الاسرائيليين عن أسماء أهل الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم عليه السلام وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من أجزاء البقرة ، وغير ذلك مما أبهمه الله تبارك وتعالى فى القرآن مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا فى دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمارى فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » ، فقد اشتملت الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال فى مثل هذا « قل ربى أعلم بعدتهم » فانه ما يعلم ذلك إلا القليل من الناس ممن أطلعهم الله عليه فلهذا قال : « فلا تمارى فيهم إلا مراء ظاهرا » أى لا تجهد نفسك فيما لا فائدة ترتجى من معرفته ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب .. والله تعالى أعلم » .

وهكذا نجد عذرا واضحا للمفسرين والشراح فى ايراد الاسرائيليات ، وان كان البعض قد بالغ فى الاستطراد ، فأتى بما فيه نظر من أقوالهم ، وممن

اكثروا فى هذا المقام (الخازن) وقد قال فى شأنه الشيخ الزرقانى رحمه الله : « .. وله ولوع بالتوسع فى الروايات والقصص ومن مزاياه أنه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر ولا يفتتن جاهل » وهذه ولا شك شنشنة المحققين من الدارسين الباحثين .. رحمهم الله جميعا .

ب) كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظة ، ويتعهدهم بالنصح والتوجيه لكل ما من شأنه أن يثبت عقيدتهم ويزيد ايمانهم ، ويؤلف بينهم ويجمعهم معتصمين بحبل الله باذلين الروح والمال فى سبيل الله وما يعلى من شأن دينهم الذى هو سبيل الحياة الحرة الكريمة فى الدنيا وطريق السعادة الأبدية ونيل الدرجات العلا فى الآخرة ، ولما كان للقصص أثره فى جذب الانتباه ، والحمل على التأسى بأبطال القصة ، ومحاولة التشبه بمن عمل صالحا فنال خير ما عند الله ، ومجانبة فعال من تنكب الطريق السوى فضل وغوى ، من اجل هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يورد الحديث عن أحوال الأمم الماضية كما علمه ربه ، ومن أجل ذلك أيضا وغيره مما تعود جدواه على السامعين جاء القصص بالقرآن الكريم « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

كما أن تحديثه صلى الله عليه وسلم عمن مضوا ، ولم يواكبهم ، ولم يطلع على أحوالهم ، فيه دلالة قاطعة على أن ذلك مما علمه الله تعالى : « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية .. وكما قال جل شأنه لنبيه بعد ايراد قصة مريم وما كان من أمرها قبل ولادة عيسى عليه السلام : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » .. وقد كان الحديث الشريف موضع الدراسة من هذا القبيل ، قبيل التحديث عن الأمم السابقة ، وهو ثمرة مجلس من مجالس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تصدرها معلما وهاديا ومرشدا ونذيرا ..

وبعد ،

فقد ورد هذا الكلم الطيب فى صحيح الإمام البخارى تحت عنوان (حديث الغار) يروى أخبار ثلاثة نفر من بنى اسرائيل لجأوا الى غار فى جبل فرارا من الامطار والانواء ، فسدت عليهم بابه صخرة تدحرجت بفعل السيول الجارفة من عل ، ولم يستطيعوا لها دفعا ولم يكن لهم سبيل للخروج من هذا المأزق الا أن تداركهم رحمة الله القوى القادر أو يهلكوا فألهمهم الله أن يتذاكروا فيما بينهم ما ينفع فى موقفهم هذا عسى الكرب الذى أمسوا فيه يكون من ورائه فرج قريب ، والمؤمن يفزع الى جناب ربه كلما ألمت به نازلة لا يقوى على دفعها ومن ذا الذى يجيب المضطر اذا دعاه إلا رب العالمين : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » وهكذا تداعى الثلاثة النفر يتقرب كل منهم بأفضل ما عمل مما يدنيهم من رحمة الله ويمنحهم لطفه وعونه ، ورحمة الله دائما قريب من المحسنين ، وصدق العلى الكبير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » . وقد كان هؤلاء الثلاثة من المؤمنين الذين يراقبون الله فى السر والعلن ، ويعبدونه كأنهم يرونه رأى العين ، وهذا مقام الاحسان الذى لا يصل اليه الا عباد الله المخلصين ، ويبدو هذا واضحا فى قولهم بقلوب خاشعة : « انه والله يا هؤلاء

لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه » أى ما عمله خالصا لوجه الله تعالى لم يرج له جزاء عاجلا فى الدنيا ، ولم يسمع (بضم اوله وتشديد الميم المكسورة) به لينال الزلفى عند الناس ، وهذا — ولا شك — افضل العمل واكثره تمحضا لله تعالى ..

اما أولهم : فقد استأجر جماعة يعملون له عملا كل واحد منهم بأجر معلوم ، ولأمر ما لم يتسلم احدهم أجره ، حين حصل نظراؤه على أجورهم ، وما كان على صاحب العمل الا أن يحفظ له حقه المقدر بينهما ، حتى اذا عاد يوما أعطاه اياه ، ولا يلزمه أن يزيد شيئا ، الا أن الرجل غلبته تقواه ، فنمى المال بالطريقة التى ارتآها حتى صار شيئا عظيما ادهش الاجير حين عاد يطلب حقه ولا زيادة لأن ما فعله صاحبه مما لم يعهد القيام بمثله ، وقصارى ما كان يرجوه أن لا يماطله أو ينكر حقه ، وهكذا تبدو آثار تقوى الله وخشيته فتأتى بالعجب المجاب الذى يفوق ما تعارف عليه الناس ، ويمضى شوطا بعيدا فى الكمال الذى تواطأوا عليه فى اعرافهم ومعاملاتهم ، ولصدور ذلك تحت مراقبة الله وحده وطاعة نقية من شوائب الرياء ، كان جزاؤه عون الله تعالى قيوم السموات والارض لفاعله فى ساعة العسرة ، فانزاحت الصخرة عن مدخل الغار قليلا وبدأ الهواء الرطب النقى يلج الى صدور المؤمنين فينعشها ويبعث الأمل قويا — فى لطف الله بهم — الى نفوسهم فى ساعة حالكة السواد تحت وطأة خطب جسيم وداهية دهياء ، انقطع فيها هؤلاء الثلاثة عن الباغم والناطق ، وهم موقنون أن لا ملجأ من الله الا اليه .

واما الثانى : فقد اكرم والديه الفانيين العاجزين عن العمل والحركة التى تحصل القوت ، وهذا واجبه الشرعى ، ولكنه تجاوز أصول الواجب الى أبعد من المطلوب فيه ، فقد كان عليه فى أفضل حالاته أن يترك شيئا من اللبن الى جوارهما يشربانه حتى استيقظا ، ويعوج بالباقى على أهله وصغاره الذين يتضاغون جوعا ويتحرقون شوقا الى ما يمسك ذماءهم ويبقى على نشاطهم ، ولكن الايمان بالله ويحقوق الوالدين ، والعزوف عن العواطف النفسية المتمثل فى اطعام الصغار الى انتظار جزاء من الله أكبر ورضوان منه أعظم ، فقد انساه حب الخير لوالديه واخلاصه لربه حالة أبنائه ، فلذات كبده ، وتكلف الانتظار ليلة كاملة حتى مطلع الفجر ليطعم الوالدان ولو نأى الرقاد عن الرضع وامهما ، وهذا عمل لا يستطيعه الا القلة النادرة من الاتقياء الذين اسلموا وجوههم الى الله وهم محسنون فاستمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكان من عاقبة أمر هذا المؤمن أن قبل الله ما قدم ، فانفرجت الصخرة حتى رأى هو وصحبه نجوم السماء فازدادوا ايمانا بمكوكبها والحاحا فى طلب توفيقه لهم الى طريق الخلاص ، وما ذلك على الله بعزيز .

ويجىء دور الثالث : وما أدراك ما دوره ، انه دور فذ فى عالم العراك بين الغرائز والشهوات من جانب ، والتقوى من جانب آخر ، تندحر فيه الأمارة بالسوء أمام جلال الايمان وتتلاشى فى لهيب النفس المطمئنة كما يسيل الجليد قطرات فى وهج ذكاء ، فقد انتصر هذا الرجل على الحيوانية الكامنة فى هيولاه ، وازاحها من طريقه ، فألزم نفسه هداها ، وقهر قرين السوء شيطانه ورده خاسئا رجيما ، هذا ، مع أن المراة قد شغفته حبا ، وحمله ولهه على جمع المال مع عزته ليصل به الى ما يريده منها ، اما وقد تهيأ له كل شىء حين نزلت بالمراة سنة اتت على اخضرها ويابسها ، ونبذتها وفلذات كبدها بالعراء وهى سقيمة ، وتركتها فريسة سهلة ولقمة سائغة لذئاب البشر — كما ورد فى رواية أخرى — وقد كانت هذه المراة على جانب من خوف الله تعالى ، وعلى

صلة وثيقة تربط قلبها بقيوم السموات والارض ، فقد قالت لطالبها المفتون بالغانية الهيفاء ، وقد جلس منها مجلس المهر والمجون تحت سطوة الجوع وقهر الحرمان مما يقيم الأود ويبقي على الحياة ، حياتها وحياة صغارها : « اذكرك الله أن ترتكب منى ما حرم الله عليك » وهنا يستيقظ الاحساس الكريم فى ذلك الانسان فيجيبها : « انا أحق من يخاف ربى » . وفى رواية : انها بكت فقال : ما يبكيك ؟ فأجابت : اقدمنى على السوء حاجتي الى الطعام . فقال لها : لا عليك انطلقي بما معك ، وفى ثالثة : أنه هو قال : تذكرت النار فقمت من مجلسها . وتلك صور تبرز نور نفس من يخشى الله واليوم الآخر ، فأين هذا — يا قوم — منشيطان يعتدى على الأطفال والقاصرات ارضاء لنزوة حيوانية عابرة ، ذلك لعمر الحق هو الفجور الكالح البعيد عن كل دين ، المجافى لكل المروءات المعادى للانسانية الفاضلة وما هو الا عماية وضلال ونزق لا علاج له الا إقامة حدود الله ، وأما صاحب القصة فقد ترك الميسور من الفجور الذى دان له واصبح فى استطاعته معاقرته دون عزول ، مع الحاح الحيوانية ، وطيب المرعى ، وفتنة الجمال ، وقتل العيون النجل والغصن الرطيب ، وليس ذلك وحسب ، وانما أهداها ما اعطاها من المال حسبة لوجه الله تعالى ، منتظرا الجزاء الاوفى هناك ، فى رحاب العلى الكبير ، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا والامر يومئذ لله الواحد القهار سبحانه ربى مالك يوم الدين ، واستحق هذا المؤمن عون الله تعالى ، فبعدت الصخرة بقدرة الله وحده عن مدخل الغار ، وهنا تنفس القوم الصعداء ، وعادوا للحياة بعد أن كادوا يفقدون الأمل فى الحياة ، لولا عون الله وفضله سبحانه ربى انه على كل شيء قدير . .

والخلاصة :

أن الاعتبارات التي يجب ان يقف عندها دارس هذا الحديث الشريف :

١ — ظهور ثمرة الطاعة ، ووضوح فائدة اخلاص العمل لوجه الله تعالى ، وبيان نتيجة التفانى فى ارضائه سبحانه ووجوب التقرب اليه بكل عمل صالح ممكن ، وان هذه الاستجابة الألهية لعباده الضارعين الى جنابه باخلاص تحمل على المسارعة فى الخيرات ، وفى حديث قدسى ورد ما خلاصته : . . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى اكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشي بها ، ومعنى هذا اجابة الداعي لحظة دعائه ، وقبول رجائه فور رجائه .

٢ — طلب الدعاء اذا ادلهمت الخطوب ، وعصفت الكروب ، ومما يؤخذ بمين الاعتبار ، التقرب الى الله تعالى بذكر ما قدم المؤمن من صالح الأعمال ، واستنجاز الله سبحانه وعده الذى تشير اليه الآية الكريمة : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » وقوله جل وعلا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان » الآية .

٣ — ابراز ما حكاه الذين تناولوا الحديث الشريف بالشرح والتفسير من قول بعضهم :

« . . ظهر لى أن الضرورة تلجيء الى تعجيل جزاء بعض الاعمال فى الدنيا ، وأن ما ورد فى الحديث الشريف يدل على أن الثلاثة النفر أبطال القصة لم يروا لاعمالهم قيمة فى جانب نعم الله تعالى عليهم ، ولهذا فوضوا امرهم اليه سبحانه حين قال كل منهم : « اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك » . . الخ . فهو يرشد الى انهم لم يعتقدوا فى أعمالهم التمحض لوجه الله تعالى ، بل فوضوا يقين ذلك الى الله تعالى وحده ، وهذا منتهى التسليم

والالتجاء الى قيوم السموات والارض » . ثم أنظر وتأمل أدب هؤلاء الثلاثة مع الله تعالى ، حيث قالوا : ادعوا الله بصالح أعمالكم فى أول الامر ، ليتذكروا خير ما عملوا مما اصطلح عليه المؤمنون ، وما يبدو أنه امتثال لمراد الله تعالى ، ولما بدأوا فى الدعاء لم يقولوا ندعوك بما عملنا ، وانما قالوا : ان كنت يا مولانا تعلم أنه عمل ابتغاء مرضاتك ..

٤ ـ اذا قيل : هل فى أعمال هؤلاء الثلاثة تفاضل ؟! كان الجواب :

ان مكرم والديه والبار بهما اقتصر عمله على نفعه هو ، وان امتد فليس بعيدا عنه اذ هما أبواه وبرهما مفروض عليه بالأصلين الشريفين والتقصير فى حقهما مدعاة اللوم الاجتماعى فضلا عن العقوبة الالهية ، والمبالغة فى اكرامهما واجب ودين يؤديه ليتقاضاه ، وصاحب الأجير : تعدى بره نفسه الى غيره وابرز خلالا لو تمت فى مجتمع الأسعدته وكانت عامل ازدهار له ونمو ، ومن تلك الخلال الأمانة ووضعه غيره موضع نفسه بتنمية مال الأجيـــر وقد يكون فى هذا الفعل شبهة الرياء ومنافقة المجتمع ..

وأما ثالثهم : فقد زاد فضله ، وكان عمله أدل على التجرد من هوى النفس الأمارة بالسوء وقهر الغريزة الجامحة مع تهيؤ فرصة المواقعة ، فى موقف كثيرا ما يتوارى فيه العقل نهائيا وتكفهر سماء الحياء والمروءة تحــت الحــاح القــوة الحيوانية المستعرة فى كيان الرجل ، فلولا أن خشية الله حين ذكر « بالبناء للمجهول مع تشديد الكاف » أو حين تذكر قشعت كل شـــعور مادى واحلت الرهبة من جلال الله وسلطانه ، لما ارعوى ولما كبح جماحه ، ولدقة الموقف فى مثل تلك الحالة التى يخلو فيها الانسان من رقيب ، وردت بعض الآيات الكريمة شاهدة لمن كان هذا حاله بأنه جدير بدخول الجنة قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » . قال الــــكلبى : « نزلت فى من هم بمعصية وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله » . ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدى الله فانتهى عنها » ناهيك بأن هذا الرجل ترك المال ايضا فى ســـنة عجفاء . ولابنة عمه آسرته ومالكة لبه ، فلكل هذا يبدو واضحا أن عمل صاحب المراة كان أكثر نفعا وأجدى على المجتمع الذى يضمه ويحتويه ـ والله أعلم ـ ولكل عند الله ثواب ، لا ينقص من ثواب الآخرين شيئا .

٥ ـ ونقول اخيرا : هذا الحديث الشريف يلزم بطـــاعة الله واخلاص الاعمـــال له وحده ، ولئن طلب هذا اســـلاميا وعقليا فى كل زمان ومكان فما أحوجنا اليه فى ظروفنا الراهنة التى تكالبت فيها الأمم على المسـلمين ، وغلقت عليهم المنافذ فكأنهم محصورون فى غار النفر الثلاثة لا يجدون مخرجا ، فلا خلاص لهم الا باللجوء الى الله بالعمل الصالح الذى يتدارسون من خلاله اوضاعهم ليصلحوا من أحوالهم المتردية ويسايروا ركب الحياة معتمدين على الله وحده ، فقد طال ســباتهم ، ثم فتحوا عيونهم على وحش فاغر فاه همه ابتلاعهم أو صمصام مصلت على رقابهم ، أو سهم مسدد الى نحورهم ، أو قنا وقنابل مؤذنة بخراب الديار ، وتركها قفراء بلقع ، ومع كل هذا ، فاليأس غير وارد لدى المسلمين لأنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومن أعان محمدا الوحيد فى صحراء ، الفقير بين أغنياء ، المجرد من العدة ومن حوله ينوشه الأقوياء ، وامده بالحول والقوة رغم الليالى الحـــوالك ، هو هو رب العالمين جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤدوه قلب ميزان القوى ، فقوته فوق كل قوة ، وهو ينصر المتقين العاملين ما داموا على شرعة رسله ، وسنن قرآنه ، مخلصين أعمالهم له . متجهين اليه بأسباب الدنيا والآخرة .